* **المدارس الفقهية الإسلامية • Islamic jurisprudential schools :**

من المعلوم أن الاجتهاد Ijtihad كان موجودا في عهد الصحابة عليهم الرضوان بل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم، وقد كان الاجتهاد ولا يزال متعلقا بأمرين :

**الأول :** فهم النص في حالة وجوده .

**الثاني :** في حالة عدم وجود نص في المسألة .

ومثال الأول قصة " بني قريظة " المعروفة وكيف أن الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا في فهم المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يصلينّ أحدكم العصر إلا في بني قريظة " هل أراد صلى الله عليه وسلم الإسراع أو أراد الصلاة في بني قريظة، فمنهم من فهم الحديث على ظاهره ومنهم من فهم أن قصد النبي صلى الله عليه وسلم هو الإسراع .وما عاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا منهم .

أما في حالة عدم وجود نص في المسألة المتنازع فيها فدليلها ما جاء في حديث " معاذ بن جبل "، عندما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وقال له : " بم تحكم ؟ فقال : بكتاب الله، ثم بسنة رسول الله إلى أن قال : اجتهد رأي ولا آلو " أي لا اقصر، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك .

وبعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم انتقل الصحابة من طور إلى طور، انتقلوا من طور الاعتماد إلى طور الاجتهاد، وهذا الأخير فرض عليهم خصوصا بعد الفتح الإسلامي في كل من بلاد " فارس والروم "والتعرف على حضارات جديدة ومواجهة أحداث ومسائل تستدعي النظر فيما يصلح لها من الحلول الفقهية .

هذه الحلول لم تكن موجودة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان ولابد من الاجتهاد والوصول إلى معرفة الحكم الشرعي .

يقول الدكتور " **مصطفى سعيد الخن** " في كتابه : " **دراسة تاريخية للفقه وأصوله والاتجاهات التي ظهرت فيهما** " :" لقد كان الفقه زمن الصحابة يدور في البحث في أحكامه على الكتاب ثم السنة، ولقد كان المفتون في ذلك العصر على طرائق :

* فمنهم من كان يتوسع في الرأي، ويتعرف المصالح فيبني الأحكام عليها كعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود .
* ومنهم من كان يحمله التورع والاحتياط على الوقوف على النصوص والتمسك بالآثار كالزبير وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص.

فلما تفرق الصحابة في الأمصار قضاة ومفتين ومعلمين نقلوا علمهم وطرائقهم في البحث والاستنباط إلى من خلفوهم في حمل لواء هذا العلم.

ثم كان من التابعين وتابعيهم من يتحاشى القول بالرأي والاجتهاد، فقد ذكر " الدرامي " في " سننه " عن " ابن سرين " :" انه كان لا يقول برأيه إلا شيئا قد سمعه" .

وذكر عن " عطاء " انه سئل عن مسألة فقال : " لا أدري فقيل له : ألا تقول فيها برأيك ؟ قال : إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأي "

وذكر " الشعبي " أيضا أنه قال :" إياكم والمقايسة، ولكن ما بلغكم عمن حفظ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاعملوا به " .

كذلك كان منهم من اشتهر بالقول بالرأي كربيعة الرأي وعلقمة بن قيس النخعي، إبراهيم النخعي، فكانت هذه البداية الأولى لما جاء فيما بعد، وعرف " بالمدارس الفقهية " ومع استمرار الزمن بدأ الفارق يتعمق بين الاتجاهين ولا سيما في القرن 2هـ حتى ظهرت ما يسمى بـ " مدرسة الحديث " و" مدرسة الرأي " ونمت كل منهما نماء ظاهرا وآتت ثمارها وأضحى لكل مدرسة مميزات وخصائص ".

وتمركزت الأولى في " المدينة " والثانية في " الكوفة " وقد نسبت في بداية الأمر كل مدرسة من المدرستين إلى المكان الذي نشأت فيه، وبعدما خرجت كل مدرسة من مهدها الذي نشأت فيه، فشكلت تيارا له أتباعه في مختلف ديار الإسلام، فعرفت عندها مدرسة " المدينة " بمدرسة " أهل الحديث " ومدرسة " الكوفة " بمدرسة " أهل الرأي "

**1)-مدرسة المدينة (مدرسة أهل الحديث**  **The School of Hadith) :** كان مهدها بالحجاز وبالضبط في المدينة المنورة وهي مهد السنة ومأوى الفقهاء وفيها صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين حفظوا الحديث عنه ونقلوه إلى التابعين والمدينة هي مركز الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين وأصل هذا المركز الفقهي : فتاوى " أبي بكر وعمر وعثمان وعلي قبل انتقاله إلى الكوفة، وفتاوى زيد بن ثابت وعائشة أم المؤمنين، وأبي هريرة ، ومن صغار الصحابة عبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس قبل انتقاله إلى مكة" .

غير أن أكثر أقضية وفتاوى هذا المركز كانت في الأغلب تعتمد على أقضية :" عمر بن الخطاب " وفتاوى :" زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة أم المؤمنين "، وأكثر الراويات كانت روايات " أبي هريرة وأبي سعيد الخدري "، إذن هؤلاء الستة كانت أغلب الفتاوى والأقضية والمرويات تدور حولهم، وعلى هؤلاء وغيرهم تخرج الكثير من فقهاء التابعين وقد وصلوا إلى 170 فقيها، اشتهر منهم ثلة من الفقهاء خصوا باستنباط الأحكام وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، وأشهرهم : الفقهاء السبعة والذين كانوا في عصر واحد وعنهم انتشر العلم والفتيا وهم كما جاء في قول الناظم :

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر

روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم : **عبيد الله عروة قاسم**

**سعيد أبو بكر سليمان خارجة**

وقيل من " السبعة " سالم بن عبد الله بن عمر، بدل أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقيل : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : بدلهما، وهؤلاء أشهرهم، وهناك آخرون مثل : الحسن بن محمد بن الحنفية، وعمرة بنت عبد الرحمن ...

وقد أخذ عن الفقهاء السبعة ومن شاكلهم في العلم أكثر من 900 شيخ، ومن أشهرهم : " ابن شهاب الزهري، ربيعة الرأي، نافع مولى بن عمر، عبد الرحمن بن هرمز"، وعن هؤلاء أخذ " **مالك بن انس** " وقد كان رحمه الله تعالى من أعلم الناس بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين وفي ذلك يقول الذهبي في " تاريخ الإسلام " في حوار بين الشافعي ومحمد بن الحسن قال الشافعي : " قال لي محمد بن الحسن : أيهما أعلم صاحبا أو صاحبكم ؟ : أي صاحبنا أبو حنيفة أو صاحبكم مالك، قلت : أنشدك الله من أعلم بالقرآن ؟ قال : صاحبكم، قلت : أنشدك الله من أعلم بالسنة ؟ قال : صاحبكم، قلت : أنشدك الله من أعلم بأقوال الصحابة والمتقدمين ؟ قال: صاحبكم، قلت : لم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول فعلى أي شيء يقيس ؟" .

وبعد الإمام " مالك " انتقلت زعامة مدرسة " الحديث " إلى " بغداد "، حيث " أحمد بن حنبل " وانتشرت في كثير من البلاد في المغرب وغيره، ومن أشهر المنتسبين إلى مدرسة " أهل الحديث " كما يقول " الشهرستاني " : " أصحاب الحديث هم أهل الحجاز، هم أصحاب مالك وأصحاب محمد بن إدريس الشافعي، وأصحاب سفيان الثوري، وأصحاب داوود بن علي الأصفهاني ..."، وعن " البيهقي" : أن طبقات أصحاب الحديث خمسة : المالكية، الشافعية، الحنابلة، الرهاوية، والخزيمية ( إسحاق بن راهوية وإسحاق بن خزيمة ) .

ومن المشاهير أيضا المنتسبون " لأهل الحديث " في القرن الثاني الهجري : يحي بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشعبة بن الحجاج، وعبد الرحمن مهدي، والاوزاعي، والليث بن سعد.

ومن المشاهير في القرن الثالث الهجري : علي بن المديني، ويحي بن معين، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو زرعة الرازي، وابن جرير الطبري، والبخاري ومسلم والنسائي وأبو داوود والترمذي وابن ماجه...

**\*سبب تسميتهم بأهل الحديث :** سبب تسميتهم بأهل الحديث هو تلكم العناية الشديدة بالحديث وتحصيله والتحرز في نقل الأخبار، وإعمال الأخبار والآثار وتقديمها على الأقيسة، وكانوا يهابون الفتيا والاستنباط إلا لضرورة لا يجدون منها بدا، ولمدرسة " أهل الحديث " الفضل في جمع السنة النبوية وتدوينها والذبّ عنها وتخليصها مما شابها... ودون بذلك علم مصطلح الحديث ، والجرح والتعديل وعلم الرجال....

* **مميزات هذه المدرسة :** من أهمها مميزات مدرسة أهل الحديث **:**

1-التوقف فيما لم يسمع فيه شيء ( الاعتداد بالحديث والوقوف عن الآثار )

2-تجنب الأخذ بالرأي وإعمال القياس Qiyas، إلا في حالة الضرورة الملحة

3-الثروة الكبيرة التي تفي بحاجاتهم، فلا يلجؤون إلى الأقيسة والاجتهاد، خصوصا أهل المدينة ، بل حتى أهل الحجاز، وكذلك لبعدهم عن الفتن والمعارك والثغور .

4-لا يحبذون الاشتغال بالقضايا الافتراضية Hypothetical issues ولا يشتغلون كثيرا بعلل الأحكام.